

مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

والعشرين من شهر تشرين الثاني، تحتفل الكنيسة الأرثوذكسية بعيدة في اليوم التالي، أي في الرابع والعشرين. ما خلا هذه الإشارات القليلة نسبياً إلى شخص القديس أقليمس، لا تزودنا المصادر الكنسية الأولى بمعلومات تتيح لنا تفصي حياة هذا الأسقف الروماني. وقد رأى البعض أنه كان عبداً لدى القنصل الروماني تيطس فلافيوس كليمنطوس ثم صار أسقفاً بعدما اعتق من العبودية. وتعود هذه الفرضية إلى أن الكنيسة التي تحمل اسم القديس أقليمس في رومية ربما كانت أرضها ملكاً لهذا القنصل. إلا أن التيقن من صحة معلومة كهذه

يظلّ شبه مستحيل من وجهة نظر علمية لندرة المادة التاريخية المتوافرة. كذلك تختلف المصادر التاريخية في وصف موت القديس أقليمس. ففيما يذكر المؤرخ الكنسي إفسافيوس القيصري أن أقليمس توفي بسلام إثر إتمامه الذبيحة الإلهية، تشير إحدى الروايات إلى استشهاده إبان حكم الإمبراطور تراجان (٩٨ - ١١٧)، وذلك بعد نفيه إلى مدينة خرسون على البحر الأسود، عبر ربط عنقه إلى مرسة ورميه في البحر. بيد أن المصادر الكنسية تجمع على

أقليمس أسقف رومية

هو بحسب اللائحة الأسقفية التي خلفها لنا القديس إيريناوس أسقف ليون (توفي حوالي سنة ٢٠٠) ثالث أسقف على مدينة الرومانيين بعد الرسول بطرس. ولعله تولى أسقفية مدينة رومية بين العامين ٩٠ و١٠١. ويذكر إيريناوس، فضلاً عن ذلك، أن أقليمس عرف القديس بطرس شخصياً. كما يشير ترتوليان، وهو أحد أبرز

معلمي كنيسة الغرب في النصف الثاني من القرن الثاني وأوائل القرن الثالث، أن بطرس الرسول هو الذي سام أقليمس أسقفاً على رومية. غير أن هذه المعلومة

الأخيرة تصطدم بصعوبات تاريخية جمة، لأن التقليد الكنسي يميل إلى القول باستشهاد بطرس الرسول أيام القيصر نيرون (٥٤ - ٦٨). أما العلامة أوريجنس الإسكندري (حوالي ١٨٥ - ٢٥٣) فيقيم ارتباطاً بين الأسقف الروماني وأقليمس (أو اكليمندس) المذكور في رسالة القديس بولس الرسول إلى أهل فيليببي (٣:٤)، ما قد يدل على أن أقليمس عرف بولس أيضاً. وفيما تعيد الكنيسة اللاتينية للقديس أقليمس الروماني في الثالث

الرسالة

(عبرانيين ٩:١-٧)

يا إخوة إنَّ العهدَ الأوَّلَ كانت له أيضاً فرائضُ العبادةِ والقدسُ العالميُّ* لأنَّهُ نُصِبَ المَسْكِنُ الأوَّلُ الذي يُقالُ لهُ القدسُ وكانت فيه المنارةُ والمائدةُ وخبرُ التقديمِ* وكان وراءَ الحجابِ الثاني المسكِنُ الذي يُقالُ لهُ قدسُ الأقداسِ* وفيه مستوقدُ البخورِ من الذهبِ وتابوتُ العهدِ المغطى بالذهبِ من كلِّ جهةٍ فيه قسِطُ المنِّ من الذهبِ وعصا هرون التي أفرختْ ولوَّحا العهدِ* ومن فوقه كاروبا المجدِّ المظللان الغطاء. وليسَ هنا مقامُ الكلامِ في ذلك تفصيلاً* وحيثُ كان ذلك مهياً هكذا فالكهنةُ يدخلون إلى المسكِنِ الأوَّلِ كلَّ حينٍ فيُتِمُّونَ الخدمةَ* وأما الثاني فإنَّما يدخله رئيسُ الكهنةِ وحدهُ مرَّةً في السنةِ ليسَ بلا دمٍ يقربُه عن نفسه وعن جهالاتِ الشعبِ.

العدد ٤٧/٢٠٠٤
الأحد ٢١ تشرين الثاني
دخول سيدتنا والدة الإله الفاتحة
القداسة إلى الهيكل
اللحن الثامن
إنجيل السحر الثالث

الإنجيل

(لوقا ١٠: ٣٨-٤٢؛

٢٧: ١١ و٢٨)

في ذلك الزمان دخل يسوع قرية فقبلته امرأة اسمها مرتا في بيتها* وكانت لهذه أخت تسمى مريم. فجلست هذه عند قدمي يسوع تسمع كلامه* وكانت مرتا مرتبكة في خدمة كثيرة. فوقفت وقالت يا رب أما يعنيك أن أختي قد تركتني أخدم وحدي. فقل لها تساعدني* فأجاب يسوع وقال لها مرتا مرتا إنك مهتمة ومضطربة في أمور كثيرة وإنما الحاجة إلى واحد. فاخترت مريم النصيب الصالح الذي لا يُنزع منها* وفيما هو يتكلم بهذا رفعت امرأة من الجمع صوتها وقالت له طوبى للبطن الذي حملك والثديين اللذين رضعتهما* فقال بل طوبى للذين يسمعون كلمة الله ويحفظونها.

تأمل

يا للعظام الإلهية والأسرار التي تفوق الطبيعة والعقل! يا لإمتميازات البتولية، التي تفوق الإنسان! ما هذا السر العظيم الذي يكتنّفك أيتها الأم القديسة والبتول؟ «فأنت مباركة في النساء ومبارك ثمر بطنك».

روما، وعلى رأسهم المعلم الرواقي الذائع الصيت أبىكتيتوس. بذا، من المرجح أن يقع زمان كتابة الرسالة التي نحن في صدها إبان العامين ٩٥ و٩٦.

كتب القديس أقليمس رسالته إلى المسيحيين في كورنثوس إثر شقاقت و وقعت هناك لعلها كانت متصلة برتبة المشيخة أو الأسقفية ومن هو مستحق لها. وتبين رسالتا القديس بولس إلى كنيسة كورنثوس أن لأعضاء هذه الكنيسة تاريخاً قديماً، إذا جاز التعبير، في التنارع والتصارع. فلا غرو أن يجد أقليمس نفسه مضطراً إلى التدخل من جديد، وذلك انطلاقاً من رابطة المحبة التي تجعله معنياً بكل خلاف يحصل بين المسيحيين، ولو وقع هؤلاء خارج نطاق أبرشيته، أي كنيسة رومية التي كان هو أسقفها. ولعل في تصرف أقليمس هذا مثلاً يحتذى لمسيحيي اليوم إن في نطاق الرعية أو الأبرشية أو الكنيسة الواحدة أو على مستوى كنائس المسكونة جميعاً. فالمسيحيون الأولون، ولاسيما كبار الأساقفة مثل أقليمس الروماني واغناطيوس الأنطاكي وأثاناسيوس الإسكندري وباسيليوس الكبير، كانوا يشعرون بأنهم مسؤولون عن امتداد كنيسة المسيح في المسكونة جمعاء، مما لا يتعارض مع كونهم أساقفة كنائس محلية معروفة الحدود. هذه المسؤولية غالباً ما كانت تفصح عن ذاتها اهتماماً بشؤون الأخوة وسعيًا إلى توطيد وحدتهم ومداواة جراح انشقاقاتهم التي حصلت وحتى إلى مدّهم بالدعم المادي أحياناً، وذلك على خطى الرسول بولس الذي لم تمنعه أسفاره الكثيرة من حمل الكنائس التي أسسها على تعهد كنيسة «الفقراء»، أي كنيسة أورشليم. والواضح أن أقليمس الروماني جمع إلى هذه الفضيلة الكبرى فيه، أي

أن أقليمس خط رسالة إلى كنيسة كورنثوس. وتصنّف هذه الرسالة ضمن مجموعة كتابات «الآباء الرسوليين»، وهي تضم أيضاً رسائل القديس اغناطيوس الأنطاكي السبع ورسالة برنابا وكتاب الراعي لهرماس ورسالة بوليكاربوس أسقف إزمير وقصة استشهاده والشذرات المنسوبة إلى بابياس وكودراتوس والرسالة إلى ديوغنيتوس. ورغم أن هذه المجموعة لا تشكل وحدة مترابطة، إذ أنها متنوعة من حيث الشكل الأدبي والمحتوى ومصدر الكتابة، إلا أنه يُنظر إليها على أنها معبرة عن الأدب المسيحي الذي تلا كتابة العهد الجديد. كما تشمل مجموعة الآباء الرسوليين على رسالة ثانية منسوبة إلى القديس أقليمس. لكن البحاثنة متفقون على أن واضع الرسالة الثانية لا يمكن أن يكون هو إياه مؤلف الرسالة الأولى بسبب الاختلاف الواضح في الأسلوب واللغة. والجدير ذكره أن هذه الرسالة الثانية، من حيث نوعها الأدبي، هي أقرب إلى عظة شفوية منها إلى رسالة مكتوبة. ويرى بعض البحاثنة أنها كتبت بين العامين ١٢٠ و١٥٠ في كورنثوس أو رومية أو الإسكندرية.

تعتبر رسالة القديس أقليمس إلى أهل كورنثوس أقدم أثر مسيحي مكتوب بعد العهد الجديد. ويعتمد الدارسون في تأريخها على مضمون الرسالة ذاته. فهي تتحدث عن اضطهاد نيرون بوضوح، ثم تعرّج على «المحن والويلات المفاجئة التي ضربتنا ضربة تلو ضربة»، ما يجعل من السهل الافتراض أنها تشير إلى الاضطهاد الذي تعرّض له المسيحيون في أواخر حكم الإمبراطور ذوميتيانوس (٨١ - ٩٦). وقد اشتهر هذا الإمبراطور بنزق سلوكه كممثل طرده الفلاسفة من

أنت مغبّطة من أجيال الأجيال، ووحدهم أهل لأن تدعي مغبّطة؛ فهل إن كل الأجيال تغبّطك في الواقع كما سبق فأعلنت. وبنات أورشليم، أي الكنيسة، رأيك فهنّانك؛ والملكات اللواتي هنّ نفوس الصديقين سيباركنك إلى الدهور. لأنك العرش الملكي الذي يقف الملائكة بجانبه متأملين سيدهم وخالقهم الجالس عليه. فقد أصبحت عدناً الروحية الأقدس والأكثر تألهاً من القديمة. في الأولى سكن آدم «الأرضي»، وفيك إنما هو الرب الذي «من السماء». والتابوت سبق فسورك، يا من خلّصت زرع الخليقة الثانية؛ لأنك ولدت المسيح خلاص العالم، والذي غرق الخطيئة وسكن أمواجها.

وكانت العليقة من قبل رسماً لك، والألواح المكتوبة من الله صورتك، وتابوت العهد تحدت عنك. جرة الذهب، والشمعدان، والمائدة، «وعصا هارون التي أورقت» قد سبقت فأظهرتك. ومنك ولد في الواقع من هو شعلة الألوهية، «والتعريف بالآب والتعبير عنه» والمن اللذيذ السماوي، والاسم الذي لا اسم له والذي «يفوق كل اسم»، «والنور الأبدي الذي لا يدنى منه»، و«خبز الحياة» الآتي من السماء، والثمرة المجتناة دون عمل، ومنك خرج بالجسد. أولست أنت من أشار

سعيه إلى تدعيم رباط الوحدة بين المسيحيين ودرء مخاطر التبعض عنهم، تواضعاً عظيماً يعبر عنه في رسالته تكلمه بصيغة الجمع، أي باسم الكنيسة الرومانية كلها، رغم أنه خط الرسالة منفرداً.

تعليم الرب يسوع: حياة الكنيسة

في معرض رده على التلاميذ الذين سألوهم: «من هو أعظم في ملكوت السموات؟» (متى ١٨: ١)، يضع الرب يسوع النظام الأساسي لحياة الجماعة المسيحية في الكنيسة أي لحياة الكنيسة. فالكنيسة هي ملكوت الله على الأرض. هذا ما يجب أن تسعى لتحياه من هنا. لكي تدخل الملكوت في اليوم الأخير وتكون عظيماً فيه، والجميع عظماء بحضرة الله هناك، عليك أن تعمل بنظام حياة الكنيسة الذي نقرأه في الإصحاح الثامن عشر من إنجيل متى، وهذا هو الجزء الرابع من تعاليم الرب يسوع التي دأبنا على شرحها في النشرة.

القانون الأول لحياة الكنيسة هي أن يحيا أعضاؤها في التواضع كأطفال: «إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات. فمن وضع نفسه مثل هذا الولد فهو الأعظم في ملكوت السموات» (متى ١٨: ٣ و٤). لقد علمنا الرب سابقاً في الصلاة الربانية «أبانا الذي في السموات...» أن نقف أمام الله مثل الابن أمام أبيه. بل وأكثر من ذلك، فإنه استعمل أباً ABBA الآرامية لينادي الآب السماوي، وهي الكلمة التي يستعملها الأطفال الصغار لمناداة والدهم. هذا يعني أنه قصد أن نقف أمام الله كما يقف الطفل أمام أبيه، أي أن الطفل يعتمد بشكل كلي على والده في كل

الأمر، حتى أن مشيئته هي من مشيئة أبيه. لذلك ورد في الصلاة الربانية «لتكن مشيئتك». المقصود أن يكون الإنسان في تسليم كلي لإرادة الله، وهذا يتطلب تواضعاً لأن على الإنسان أن يضع أناه جانباً ويقبل مشيئة الله، وهذا التواضع لا نجده إلا لدى الأطفال لأنهم يتقون بوالديهم ويأمنون لهم. كما يتطلب براءة الأطفال. كلما كبرنا في السن وصار عقلنا يعمل أكثر، تدخل الحسابات والتفكير في المصالح والإفادة الذاتية إلخ...، وعندها تفتقد البراءة التي كانت فينا ونحن أطفال. إذا علينا أن نتعامل مع بعضنا في الكنيسة كأطفال في تواضع وبراءة، دون تكبر ودون حسابات مسبقة. المسيح صلّب لأجل كل واحد منا، فلماذا أتكبر على أخي؟ وبماذا أنا أفضل منه؟

تصرف المؤمن تجاه أخيه المؤمن هو من أسس الدخول إلى الملكوت. وهذا التصرف يتم على صعيدين. أولاً، على المؤمن أن يقبل الآخر كما هو: «ومن قبل ولداً واحداً مثل هذا باسمي فقد قبلني» (متى ١٨: ٥). علينا أن نتعامل مع كل المؤمنين كأنهم أولاد لله كما ذكرنا أعلاه. الجميع أطفال أمام الله ولا يهم عمر الإنسان، لذا الحديث عن قبول «ولد». من يقبل الآخر يقبل المسيح. طريقنا إلى المسيح هي هذا الآخر. هذا يوصلنا إلى الملكوت. ثانياً، التسبب بالعثرة للآخرين هو سبب لعدم دخول الملكوت، بل وللذهاب إلى الجحيم: «من أعتز أحد هؤلاء الصغار المؤمنين بي فخير له أن يعلق في عنقه حجر الرّحى ويُغرق في لجة البحر... ويل لذلك الإنسان الذي به تأتي العثرة» (متى ١٨: ٦ و٧). ان تسبب العثرة للآخرين يعني أن تجعلهم يخطئون، وبالتالي فأنت شريك كامل في الخطيئة. وربما

إليها أتون النار الممزوجة بالندى واللهيب، كصورة للنار الإلهية التي أتت وسكنت فيك؟ وخيمة إبراهيم كانت نذيراً عنك شديد الوضوح، لأن الإله الكلمة الذي أتى فسكن في حشاك كما تحت الخيمة، قد قدمت له الطبيعة البشرية - من خلال دمك الفائق الطهر - الخبز المشوي على الجمر، أي بواكيرها المشوية والمحولة إلى خبز بواسطة النار الإلهية، واللابثة في شخصها لتكون حقاً بمثابة غذاء لجسدٍ أحيي بنفس عاقلة وناطقة.

وكنت سأغفل سلم يعقوب. ماذا إذا؟ أوليس جلياً أنها رسمت مسبقاً صورتك وأظهرتها؟ فكما رأى يعقوب السماء متحدة بالأرض من خلال أطراف السلم التي عليها يصعد ملائكة الله وينزلون ورأى ذلك الذي هو بالحقيقة القوي الذي لا يقهر مصارعاً إياه على سبيل الرمز، كذلك أنت، أصبحت الوسيطة والسلم التي بها نزل الله إلينا وحمل ضعف مادتنا بضمها إليه وباتحاده بها بدقة، وجعل من الإنسان نهناً يرى الله، وبهذا قربت ما كان متباعداً. ولأجل ذلك نزل الملائكة إليه ليخدموه كونه إلههم وسيدهم، والبشر من جهتهم رُفِعوا إلى السماء باعتراقهم حياة ملائكية.

القديس يوحنا الدمشقي

تتحمل المسؤولية أكثر ممن تعثر، لأن هذا المؤمن الصغير أخوك قد يكون تعامل معك ببراءة الصغار وأنت دفعته نحو الخطأ. «لا بد أن تأتي العثرات» (متى ٧: ١٨)، لا بد أن يعمل الشيطان في كل زمن ليبعد الناس عن خلاصهم، المهم أن لا تكون شريكاً للشيطان في حربه ضد الله. هنا لا بد من القول إن مسؤولية المؤمن الملتزم هي أكبر بكثير من مسؤولية غير الملتزم. لأن الناس ينتظرون ممن يتبجحون أنهم مؤمنون ملتزمون، ينتظرون منهم التزاماً كاملاً بتعاليم الكتاب المقدس، لذا فعند أول غلطة يكونون عثرة لغيرهم تسقطهم في الخطيئة وربما تبعدهم عن يسوع.

بعدها ينتقل الرب إلى الحديث عن العثرات التي قد تتولد داخل الإنسان نفسه وتسقطه. يقول: «فإن أعثرتك يدك أو رجلك فاقطعها وألقها عنك. خير لك أن تدخل الحياة أعرج أو أقطع من أن تلقى في النار الأبدية ولك يدان أو رجلان. وإن أعثرتك عينك فاقطعها وألقها عنك. خير لك أن تدخل الحياة أعمر من أن تلقى في جهنم النار ولك عينان. انظروا لا تحترقوا أحد هؤلاء الصغار. لأنني أقول لكم إن ملائكتهم في السموات كل حين ينظرون وجه أبي الذي في السموات» (متى ١٨: ٨-١٠). معنى هذا الكلام روجي طبعاً، فلا مجال للتساهل أو للمساومة مع الخطيئة ومع ما يسبب العثرات. إذا كانت يدك قد امتدت إلى سرقة ماء، فلا يكفي أن تعتذر بل أن تمنع يدك عن ارتكاب السرقات، وتحسب كأنك تعيش بلا يد. يعني عليك أن تقطع الفكر الذي يحرك اليد إلى السرقة. كما أنك عندما ترى مشاهد غير لائقة في التلفاز عليك ليس فقط أن تغمض عينيك بل أن تطفئ جهاز التلفاز أو تغيّر المحطة. إن الفلاح عندما يحين

موسم «التشحيل» يذهب إلى حقله ويعاين الأشجار ويقطع الأغصان الفاسدة من جذورها ولا يتركها قائلاً قد تتغير. هذا لن يحصل. يقطع الأغصان التي لم تحمل ثمرًا جيداً ويصلي إلى الله أن ينبت مكانها أغصاناً تعطي ثماراً جيدة، في حين عليه أن يعمل على ربيها ووضع الأسمدة. هكذا الإنسان يقلع جذر العثرات، الخطيئة، ويعمل لكي يحسن وضعه مصلياً إلى الله ومتضرعاً أن يعينه في جهاده.

ما نود قوله أن على الإنسان أن يحمي نفسه من نفسه أولاً ثم يحميها من الآخرين. سهل جداً أن يرمي الإنسان اللوم على الآخرين في أنهم سبب مأساته. هكذا فعل آدم أول الجبل إذ قال لله: «المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت» (تك ٣: ١٢). ألقى آدم اللوم على الله (جعلتها معي) وعلى المرأة. كل إنسان مسؤول عن أعماله. لذا كانت دعوة الرب لنا «كونوا حكما كالحيات» (متى ١٦: ١٠).

القديسة كاترينا

بمناسبة عيد القديسة العظيمة في الشهداءات كاترينا يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء الأربعاء ٢٤ تشرين الثاني ٢٠٠٤ وخدمة القديس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح الخميس ٢٥ تشرين الثاني في كنيسة القديسة كاترينا في دير زهرة الإحسان - الأشرافية.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعياً على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb